

كتابات المُنصفين من غير المسلمين
في الرسول محمد ﷺ ورسالته

☜إعداد
قاسم محمد غنيمات
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الحصن جامعة البلقاء اربد الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد، قال تعالى في كتابه العزيز: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [١]. فإن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فقد اختار سيدنا محمد ﷺ ليكون رحمة للعالمين، وذلك لإنقاذهم من الظلمات إلى النور، ولنقل الأمم من مرحلة القبلية المقيتة إلى الوحدة والتكافل، فقد هذّب الله تعالى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهيأه لحمل الرسالة بقوله: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [٢].

ولذلك توافرت فيه عليه الصلاة والسلام جميع مكارم الأخلاق ومعاني القوة والنظر السديد في التعامل مع الأحداث، فكان الداعية القدوة والقائد الناجح، والأب الرحيم، حتى شهد له القاصي والداني، وشهد لمنهجه وأخلاقه العدو قبل الصديق، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنه عليه السلام سار في طريق الحق ولم يبتعد عنه قيد شعره.

ومما يدلل على ذلك شهادات المفكرين (المُنصفين) المستشرقين ودراساتهم التي تشهد لرسول الله ﷺ بالإنصاف والعدالة والمساواة والرحمة والعبقرية والمكانة العالية والهداية، وما إلى ذلك في مجالات الحياة كافة

ومما ورد حول ذلك على سبيل المثال قول المفكر الألماني رودي بارت[٣]: "كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة العربية يعيثون فيها فسادًا، حتى أتى محمد ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد خالق بارئ، وجمعهم في كيان واحد متجانس"[٤].

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لإظهار وإبراز هذه الكتابات المُنصفة الهامة لشخص الرسول ﷺ، ولتظهر للعالم أجمع بأن الغرب الأوروبي وغيرهم قدّموا باحثين ومفكرين أنصفوا الرّسول ﷺ والإسلام كذلك، وأنه ليس الكتّاب العرب والمسلمين وحدهم من يكتب عن شخص الرسول ﷺ، وما قول د. شبرك عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا: "إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل مثل محمد إليها" إلا خير دليل على ذلك.

وستأتي الدراسة بالكتابات المُنصفة بحق الرسول ﷺ ومؤلفيها بالتوثيق العلمي الدقيق وبالتركيز على عدة أمور أظهروها من خلال كتاباتهم (كالفجر الجديد وتاريخ الرسول ﷺ، والرسول الهادي وعبقريته ومكانته الرفيعة العالية وأخلاقه الجميلة وعدله ورحمته، وغيره، إضافة إلى نتائج للدراسة وقائمة بالمصادر والمراجع.

وأما المنهج المتبع، فهو استعراض كل باحث (مستشرق) على حدا وبشكل منفرد من خلال كتابه من أجل توضيح كل ما كتب وتحليل النصوص، وإظهار ما كتب بالتحليل الدقيق الموثق المؤكد والنابع من قناعته الشخصية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدد هؤلاء المستشرقين يحتاج إلى أكثر من دراسة للإحاطة بهم، وفي هذه الدراسة سيقتصر الحديث على بعض النماذج المختارة.

أهم المُنصفين وكتاباتهم

١. مونتجمري وات [٥] Montgomery Watt

ويُعدّ كتابه (محمد ﷺ في مكة) الأهم والأبرز من بين جميع مؤلفاته، كون الباحث قد أولى حياة الرسول ﷺ عناية فائقة ظهر فيها الإنصاف الحقيقي المطلوب لشخص الرسول ﷺ من مُستشرق غربي ، ومما جاء في الكتاب: "...محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..." [٦] ، فذكر تاريخ ولادته في عام الفيل وحياته الأولى الصعبة ونعته بالطفل اليتيم بعد وفاة والديه في السنة السادسة من عمره [٧]، وأن مبدأ العدالة ضد الممارسات الظالمة قد ظهر في شخصيته وتأصل من خلال إشارة الرسول الكريم ﷺ لحلف الفضول [٨].

وعند الحديث عن زواج الرسول الكريم ﷺ من خديجة، ذكر الخصال الحميدة كالأمانة والصدق وكرم الأخلاق التي يتميز بها، وأن خديجة عرضت عليه العمل في التجارة نظرًا لما يتميز به من مكارم الأخلاق [٩].

ويقول: "...كلما فكرنا في تاريخ محمد ﷺ، وتاريخ أوائل الإسلام تملكنا الذهول أمام عظمة هذا العمل، ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصة النجاح في الوقت الذي لم تتح لسوى القليل من الرجال، غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تمامًا، فلو لم يكن نبيًا ورجل دولة وإدارة ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله لما كتب فصلاً مهمًا في تاريخ الإنسانية، وأن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته والطبيعة الأخلاقية السامية للرجال الذين آمنوا برسالته واعتبروه قائدًا لهم، كل ذلك يدل العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه المتكامل..." [١٠].

٢. إميل درمنغم [١١] Emile Dermenghem

ألّف كتاب (الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة) والذي يُعدّ من أكثر الكتب التي ألّفها الغربيون (المستشرقون) عن الرسول ﷺ اعتدالاً. فكتب فيه سيرة صادقة ناطقة للنبي ﷺ مستندًا إلى أقدم المصادر العربية والحديثة.

ومما ذكر بالقول: "...أنه تزوج من ماريا القبطية التي أهداه إياها حاكم مصر المقوقس، وقد ولدت له ﷺ ابنه إبراهيم، فمات طفلاً، فحزن عليه كثيرًا ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمدًا كان من سمو النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد..." فقول مثل هذا لا يصدر عن كاذب دجّال..." [١٢].

وقوله: "...للمسيح في القرآن الكريم مقام عالٍ، فولادته لم تكن عادية كولادة بقية الناس، وهو رسول الله الذي خاطب الله جهرًا عن مقاصده وحدث عن ذلك أول شخص كلّمه، وهو كلمة الله الناطقة من غير اقتصار على الوحي وحده...، والقرآن الكريم يقصد النصرانية الصحيحة حينما يقول أن عيسى كلمة الله أو روح الله، ألقاها إلى مريم وأنه من البشر...وهو يذم مذهب القائلين بألوهية المسيح..." [١٣].

وقال: "...كان محمد ﷺ يُعدّ نفسه وسيلة لتبليغ الوحي، وكان مبلغ حرصه أن يكون أمينًا مُصغيًا أو سجلاً صادقًا أو حاكيًا معصومًا لما يسمعه من كلام الظل الساطع والصوت الصامت للكلام القديم على شكل دنيوي لكلام الله الذي هو أم الكتاب، الكلام الذي تحفظه ملائكة كرام في السماء السابعة...ولا بُدّ لكل نبي من دليل على رسالته، ولا بُدّ له من معجزة يتحدى بها...والقرآن هو معجزة محمد ﷺ الوحيدة، فأسلوبه المعجز وقوة أبحاثه لا تزال إلى يومنا يثيران ساكن من يتلونه، ولو لمْ يكونوا من الأتقياء العابدين، وكان محمد ﷺ يتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله. وكان هذا التحدي أقوم دليل لمحمد على صدق رسالته... ولا ريب في أن كل آية منه ولو أشارت إلى أدق

حادثة في حياته الخاصة، تأتيه بما يهز الروح بأسرها من المعجزة العقلية، ولا ريب في أن هناك ما يجب أن يبحث به عن سر نفوذه وعظيم نجاحه.."[١٤].

و" ...تجلّت بهذه الرحلة الباهرة (حجة الوداع) ما وصلت إليه من العظمة والسؤدد رسالة ذلك النبي ﷺ الذي أنهكه اضطهاد عشر سنين وحروب عشر سنين أخرى بلا انقطاع، وهو النبي الذي جعل من مختلف القبائل المتقاتلة على الدوام أمة واحدة...، ومحمد الذي خُلق للقيادة لم يطلب معاصريه بغير ما يفرض عليهم من الطاعة لرجل يُبلغهم رسالات الله، فهو بذلك واسطة بين الله رب العالمين والناس أجمعين... وكان ينهى عن عده ملكًا،... فكان ذا زُهدٍ وتقشف... فقد نال السلطان والثراء والمجد ولم يغترَ بشيء من هذا كله، فكان يُفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم، ومما كان يمضه عجز كثير من الناس عن إدراك...رسالته..."[١٥].

"...والحق أن النبي ﷺ لم يعرف الراحة ولا السكون بعد أن أوحي إليه في غار حراء، فقضى حياة يعجب الإنسان بها، والحق أن عشرين سنة كفت لإعداد ما يقلب الدنيا، فقد نبتت في رمال الحجاز الجديبة حبة سوف تجدد عما قليل بلاد العرب وتمتد أغصانها إلى بلاد الهند والمحيط الأطلنطي، وليس لدينا ما نعرف به أن محمدًا أبصر حين أفاض من جبل عرفات مستقبل أمته وانتشار دينه، وأنه أحسن ببصيرته أن العرب الذين ألف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية وإسبانية"[١٦].

ومن خلال ما عُرض من نصوص نجد إشادة صادقة برسالة الرسول ﷺ وصدق شخصه الكريم وأمانته، وأن الوحي بلّغة القرآن الكريم الذي هو المعجزة للرسول ﷺ وخير دليل على رسالته لجميع الشعوب في العالم، مع التأكيد على عظمة وقوة القرآن الكريم العقائدية والفكرية المحيّرة للكثيرين، والذي تحدّى به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله إن استطاعوا.

وهذا كلام رائع ومؤثر من شأنه الرد على كل مُغرض في شتى البقاع، ولم يغفل كذلك الإشارة إلى تحمل الرسول ﷺ وقيادته في سبيل تبليغ الرسالة السماوية، وصبر الرسول الكريم ﷺ في سبيل نشر الإسلام وفي سبيل توحيد العرب في أمة واحدة مسلمة مهما اختلفت ألوانها وطبقاتها وأطيافها، وأن همّه الوحيد كان تبليغ الرسالة السماوية بوجهها الحق، وأنه ﷺ لم يرغب بالزعامة والسيادة والأبهة الشخصية كما سعى إليها غيره في ذلك الزمان ومن قبل، وإنما تغاضى عن ذلك كله في سبيل الإسلام، ولم يظهر كذلك تميّزه في هذه المظاهر عن غيره من عامة المسلمين، فكان يعيش حياة البساطة كغيره من الناس، وأكّد الباحث كذلك على أن محمدًا ﷺ لم يعرف الراحة ولا السكون.

٣. بوسورث سميث [١٧] **Bosworth Smith**

ألّف سميث كتابه (محمد والمحمدية)، وتحدّث من خلاله عن سيرة الرسول الله ﷺ، وقد وصف في الكتاب حياة الرسول ﷺ وصفاته.

ومما قاله: "... إن لباسه بسيط ومظهره حلو أنيق، وأسنانه بيضاء، وزوجته خديجة بسيطة في حياتها، وبيت الرسول ﷺ متواضع وكان يُظهر على الدوام الجانب الإنساني الرحيم مع أهل بيته من خلال المساعدة في أعمال البيت، وكان ينام على حصيرة من الجلد، وعندما تصاب ثيابه بأذى يُصلحها بنفسه، وبخصوص طعامه، فكان يتقشف ويأكل مع الفقراء ويحب أن يطعمهم ويودّهم بالحليب والعسل ويترك نفسه، وأحيانًا كثيرة كان يُركز في طعامه على التمر والماء والخبز..." [١٨].

فهذه الحياة الطيبة الكريمة التي ذكرها الباحث سميث في كتابه لرسولنا الكريم ﷺ، مع الشفافية والإنصاف الحقيقي والبُعد عن كل ما ألّفه كل مفترٍ مُغرض محرّف مزيف للحقائق في السيرة العطرة لمعلمنا وقدوتنا محمد ﷺ. وأن هذه الصفات لرجل حكم المنطقة رسول مباشر من الله سبحانه وتعالى.

٤. نظمي لوقا جرجس [١٩] Dr. N. Luka

تحدث بإنصاف في كتابه (محمد في حياته الخاصة) عن حياة الرسول ﷺ، وأنه فوق كل الشبهات.

ومما قاله: "...ما كان محمد رجلاً هزيل الحيوية واهن الوظائف، ولكنه كان يملك حيويته ولا تملكه حيويته، ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه، فهي قوة له تحسب في مزاياه وليست ضعفًا يُعد في نقائضه، ولم يكن أبو القاسم معطل النوازع، ولكنها لم تكن نوازع تعصف به، لأنه يُسخّرها في كيانه في المستوى الذي يكرم به الإنسان حيث يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة، التي لا تهدر من قدره بل تضاعف من تساميه وعفته وظهره، وبيان ذلك في أمر بنائه بزوجاته التسع (رضي الله عنهن)..." [٢٠].

ويظهر من حديث د. لوقا مدى النزاهة والإنصاف الحقيقي بحق الرسول ﷺ فيما يتعلق بتعدد الزوجات، والدفاع عن ذلك في وجه المغرضين وافتراءاتهم وكذبهم على الإسلام والمسلمين، فالرسول ﷺ ما كان ليقوم بعمل ما، حتى الزواج إلا لخدمة الإسلام والمسلمين وتقوية الدين وليكون ذلك درسًا للبشرية، من أجل التواصل والقربى والتوحد برأيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولم يكن للمساعي الشخصية مكانة في حياته، إنما آثر تقديم المصلحة العامة في كل شيء، وهذا هو رسولنا الكريم محمد ﷺ، الذي نفخر به على أرجاء الدنيا وفي كل زمان ومكان.

٥. توماس كارليل [٢١] Thomas Carlyle

يقول في كتابه (محمد ﷺ المثل الأعلى): "كلا، ما محمد بالكاذب، ولا المُلَفّق، وإنما هو قطعة من الحياة، قد تفطّر عنها قلب الطبيعة، فإذا هي شِهاب قد أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم" [٢٢].

وقال أيضًا: "أرى في محمد آيات على أشرف المحامد، وأكرم الخصال، وأتبين فيه عقلاً راجحًا عظيمًا، وعينًا بصيرة، وفؤادًا صادقًا ورجلاً قويًا عبقريًا، لو شاء لكان شاعرًا فحلاً، أو فارسًا بطلاً، أو ملكًا جليلاً، أو أي صنف من أصناف البطل" (٢٣).

وأضاف: "...لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدنٍ من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يُظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمدًا خدّاع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يُشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أدّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنًا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا..." (٢٤).

وأضاف: "...ولا شك أن محمدًا ﷺ لا يُخطئ في تبليغ الرسالة، لأن الله عز وجل عصمه من الخطأ في البلاغ..." (٢٥).

واستمر بالقول: "... يظهر لي أن الحقيقة هي: أن محمدًا لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلمه هو عيشة الصحراء وأحوالها، وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينيه أو يتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية... ولم يقتبس محمد من نور أي إنسان آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يك في جميع أشباهه من الأنبياء العظماء، أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور..." (٢٦).

وقال: "...لقد كان زاهدًا متقشفًا في مسكنه، ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة من الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار...إنه كان يصلح نعله ويرفو ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة..." (٢٧).

وأضاف أيضًا: "إني لأحب محمدًا لبراءة طبعه من الرياء والتصنيع" (٢٨).

وقد ظهر جليًا في هذا الكتاب ميل الكاتب كارليل إلى الإنصاف الحقيقي وإعجابه الشديد بسيدنا محمد ﷺ، ودلائل ذلك ما دافع به عن شخصه الكريم ﷺ أمام الحاقدين الغادرة، ومما ذكره بإنصاف لشخصيته الطاهرة، أمية محمد وأنه لم يتعلم من البشر،

وصدقه وأمانته منذ حداثته، ووفاءه النادر وإخلاصه ومروءته وشرفه، وإيثاره للصمت والبعد عن التكلف والحكمة البالغة، ورساخة المبدأ وصرامة العزم والكرم والتقوى والإخلاص، والذكاء والتواضع والزهد والتقشف، وختم بالقول والاعتراف بحبه لسيدنا محمد ﷺ.

٦. كونستانس جيورجيو [٢٩] **Constance Giorgio**

قال في كتابه : "...وفي الإنجيل – كما رواه يوحنا، يقول السيد المسيح لحواريه- وقبل أن ينتقل من هذا العالم: إنه سيأتي بعدي شخص يقويكم ويحميكم..." [٣٠].

ويضيف كذلك بأن السيد المسيح قد ذكر عبارة "سيرسل إليكم باركالت" ومعنى هذه الكلمة اليونانية (المسلّي والمقوي والحامي)، وقد حرّف النصارى قصد السيد المسيح هذا (باركالت) بقولهم أن معنى ذلك (روح القدس) [٣١].

وتابع بالقول: "...ويرى المسلمون أن النصارى حرّفوا كلمة السيد المسيح، لأنه قال إنه سيأتي بعدي (بريكلي توس)، ومعناها باليونانية (أحمد) وهو بمعنى (الممدوح)، وهو اسم نبي المسلمين، و (محمد) معناها الأكثر مدحًا، ويروى أن اليهود ذكروا هذه الكلمة (بريكلي توس) ويعلمون أن السيد المسيح سيخلفه (أحمد)، لأن اليهود (والعهدة على الرواية) ليلة ولادة رسول الله ﷺ، اضطربوا كثيرًا، وتخوفوا من رضع آمنه..." [٣٢].

وبخصوص الهجرة إلى الحبشة فقد ذكر: "... وقرّ رأيه أخيرًا على ترحيل المسلمين إلى الحبشة، بينما يبقى هو في مكة، متحملاً كل الأخطار، ولم يقم أي الأنبياء السابقين بمثل هذا التصميم...." [٣٣].

وعن عبقرية الرسول ﷺ العسكري، فذكر جيورجيو بالقول: "... الخطة العسكرية حيث أصدر أمره للمسلمين بأن يحاربوا حربًا جماعية والابتعاد عن المبارزات الفردية، فالمعركة هنا ليست لإظهار بطولة الأفراد ومهاراتهم القتالية، وإنما في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا... وبعد ذلك شرح النبي ﷺ الخطة الحربية للمسلمين، وهي خطة ابتدعها فيليب أبو الاسكندر المكدوني قبل ألف سنة تقريبًا، وتدعى باليونانية: فالانتر،

وهي عبارة عن اصطفاف الجنود إلى جانب بعضهم البعض وتلتصق نهاية الصف الأول في أول الصف الثاني وهكذا، حتى يتكون من المجموع شكل هندسي كالمثلث أو المربع أو الدائري... ويبقى الجميع بهذه الأشكال مواجهين العدو، في حين أن ظهورهم نحو الداخل، وبهذا الشكل لا يقدر العدو مهاجمتهم من الخلف، لأنه حيثما اتجه قابله الجنود مستعدين... وقد اتبع محمد ﷺ هذه الخطة لأول مرة في تاريخ الجزيرة العربية، وفي معركة بدر بالذات،... وقد أبرز محمد ﷺ عبقريته العسكرية في تنظيمه هذا المثلث واستحكام كل جندي في مكانه...." (٣٤).

٧. مارسيل بوازار (٣٥) M. Poizar

يُعدّ كتابه "إنسانية الإسلام" علامة مضيئة في مجال "الدراسات الغربية للإسلام لما يتميز به من موضوعية وعمق وحرص على الاعتماد على المراجع التي لا يأسرها التحيز والهوى.

ومما قال: "... لقد سبق أن كتب كل شيء عن نبي الإسلام، فأنوار التاريخ تسطع على حياته التي نعرفها في أدق تفاصيلها، والصورة التي خلّفها محمد ﷺ عن نفسه تبدو، حتى وإن عُمد إلى تشويهها، (علمية) في الحدود التي تكشف فيها وهي تندمج في ظاهرة الإسلام عن مظهر من مظاهر المفهوم الديني وتتيح إدراك عظمته الحقيقية...." (٣٦).

"... ولم يكن محمد على الصعيد التاريخي مبشرًا بدين وحسب، بل كان كذلك مؤسس سياسة غيرت مجرى التاريخ، وأثرت، في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق، ومعرفة سيرة النبي ﷺ ضرورية لأن السنة التي نقلت عنها تشكل جزءًا هامًا من القانون والخلق الإسلاميين، فمن الملائم إذن وصف شخصية النبي ﷺ تبعًا للصورة التي خلفها عن نفسه في ضمير المسلمين... وكما كان يخلو قبل رسالته بثلاثة أعوام – إلى غار حراء خلال شهر رمضان للتبتل وتوزيع الطعام على الفقراء..." (٣٧).

"... ومنذ استقر النبي محمد ﷺ في المدينة، غدت حياته جزءًا لا ينفصل من التاريخ الإسلامي،... ولم ينسَ محمد ﷺ قط وهو يؤدي دور رجل الدولة رسالته السماوية نبيًا ومبشرًا، ولم يتوان لحظة في إظهار ورعه وتقاه، وقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني،... وكان يعفو عند المقدرة... وكما يُظهر التاريخ قائدًا عظيمًا ملء قلبه الرأفة، ويصوره كذلك رجل دولة صريحًا قوي الشكيمة (ديمقراطيًا)... ولا بُدّ أن يكون محمد ﷺ الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانًا فوق مستوى البشر حقًا، وأنه لا بُدّ أن يكون نبيًا حقيقيًا من أنبياء الله..." (٣٨).

وحول المرأة، فذكر بوازار بالقول: "...لقد قال النبي ﷺ: "الجنَة تحت أقدام الأمهات"، ولا يمكن أن تصدر هذه الأحكام عن مجتمع لا يحترم المرأة بوصفها امرأة..." (٣٩).

ويظهر من خلال حديث الباحث في كتابه النظرة العليا المُنصفة لشخص الرسول ﷺ، ووصفه الدقيق المنصف لحياة الرسول الحبيب ﷺ بذكره لتغيير مجرى التاريخ على يد الرسول ﷺ، وأن صورته ظهرت جليًا في حياة المسلمين بما اشتملت عليه من رحمة وعزة وتعاون وتكافل وعطف ومساعدة وغيره، مع إبرازه لسمات شخص الرسول ﷺ كالورع والتقوى والنضال والعفو عند المقدرة والرأفة والقوة والديمقراطية والدبلوماسية والنزاهة ورضا الناس ومحبتهم له، وهذا يُوجب على جميع شعوب العالم احترام شخص الرسول ﷺ نظرًا لما قدّم للعالم من دروس في سبيل الحياة الكريمة، سواءً أكان مسلمًا أم غير مسلم.

ولم يغفل الباحث اهتمام الرسول ﷺ بالمرأة، والتأكيد على العناية الفائقة من شخصه الكريم ﷺ بها وحثه على احترمها وتقديرها وعدم الإساءة إليها، وربطه للتقرب من الجنة بمقدار الاهتمام بالمرأة، أيًا كانت صفتها كالأم والبنت والأخت والزوجة...الخ.

٨. غوستاف لوبون [٤٠] Gustave Lebon

ومما جاء في كتابه "حضارة العرب": "كان محمد يقابل ضروب الأذى والتعذيب بالصبر وسعة الصدر، وكان يجتذب ببلاغته في كل يوم أصحابًا آخرين..." [٤١].

وفي وصف الرسول الكريم ﷺ قال: "... وكان ﷺ أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأيًا، يكثر الذكر ويُقل اللغو، ...مطيل الصمت، لين الجانب، سهل الخُلق، وكان عنده القريب والبعيد والقوي والضعيف في الحق سواء، وكان يحب المساكين ولا يحتقر فقيرًا لفقره، ولا يهاب ملكًا لمُلكه، وكان يؤلف قلوب أهل الشرق، وكان يؤلف قلوب أصحابه ولا يُنفرهم، ويصابر من جالسه ولا يحيد عنه حتى يكون الرجل هو المُنصرف، وما صافحه أحد فيترك يده حتى يكون ذلك الرجل هو الذي يترك يده...، وكذلك يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس... وكان يحلب العنز ويجلس على الأرض، كان يخصف النعل ويرقع الثوب ويلبس المخصوف والمرقوع..." [٤٢].

وأضاف بالقول: "... أنّ محمدًا كان شديد الضبط لنفسه كثير التفكير صموتًا حازمًا سليم الطويّة عظيم العناية بنفسه مواظبًا على خدمتها بالذات... وكان صبورًا قادرًا على احتمال المشاق... وكان مقاتلاً ماهرًا لا يهرب أمام المخاطر ولا يُلقي بيديه إلى التهلكة وكان يعمل ما في الطاقة لإنماء خُلق الشجاعة والإقدام في بني قومه... وكان عظيم الفطنة سواء أكان متعلمًا أم غير متعلم..." [٤٣].

"... وجمع محمد قبل وفاته كلمة العرب وخلق منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مُطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى..." [٤٤].

"... ومهما يكن الأمرُ فإن مما لا ريب فيه أن محمدًا أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام ومنها اليهودية والنصرانية... ولذلك كان فضل محمد على العرب عظيمًا..." [٤٥].

"... وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ وقد أخذ بعض علماء الغرب يُنصفون محمدًا على أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخيهم عن الاعتراف بفضله..."(٤٦).

وقد أنصف الباحث المستشرق لوبون سيدنا محمد ﷺ عندما تحدث عن صبره على الشدائد في سبيل تأسيس الدولة الإسلامية، وكم ساهم هذا العمل في ازدياد أعداد المسلمين يومًا بعد يوم، إضافة إلى ذِكره صفات الرسول الكريم ﷺ وطبيعة حياته البسيطة الهادئةَ الأنموذج لكافة الشعوب كقدوة لأخذ العِبر من سيرته العطرة ﷺ وتعلّم الدروس، ولم يُغفل كذلك لوبون صفاته وقدراته القتالية وشجاعته وذكائه والتفاف المسلمين حوله في شتى البقاع بالطاعة والمحبة الحقيقية من القلب، ومن ثم فضله على العرب جميعًا، وكانت كذلك قمة الإنصاف عند الباحث بالتأكيد على أن سيدنا محمد ﷺ هو أعظم من عرفه التاريخ، وأن علماء الغرب حادوا عن ذلك مع الأسف ظلمًا وبهتانًا.

٩. لويس سيديو (٤٧) Louis Sedillot

قد أظهر عند حديثه عن حياة الرسول ﷺ الإنصاف المنشود من مستشرق غربي فرنسي في زمن حادت فيه المؤلفات الغربية عن النزاهة والعدالة الحقيقية ومالت إلى الظلم والافتراء، ومما ذكر: "...فلقد حلّ الوقت الذي تُوجّهُ فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من أسية فارتقت إلى أعلى مقام فطبّق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون، ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحدٌ، هو محمد ﷺ..." (٤٨).

وأضاف كذلك: "... ولُقّب محمد بالأمين في الخامسة والعشرين من سنه لأمانته وحُسن سلوكه... واجتهد محمد ليكون محترمًا لدى من يحيطون به كأحسن ناصح وأليق زعيم..." (٤٩).

وعن شجاعة الرسول ﷺ وتضحيته بنفسه في سبيل الذود عن الإسلام والمسلمين، فقد ذكر: "... أن عَرَض محمد ﷺ لأعظم خطر، وهو لم يتخلص من الموت

الداهم إلا بأعجوبة، فقد شُجَّ وجهه فسال الدم منه فلم يستطع أن يلجأ إلى فجٍ بجبل أحد إلا بمشقة..." (٥٠).

وفي وصفه لخلق النبي ﷺ يقول: "...وكان محمد ﷺ حليمًا معتدلاً، وكان يأتي بالفقراء إلى بيته ليقاسمهم طعامه وكان يستقبل بلطف جميع من يودّون سؤاله فيُبهر كُلماءه بما يعلو وجهه الرزين الزاهر من البشاشة، وكان لا يضجر من طول الحديث، وكان لا يتكلم إلا قليلاً، فلا ينمّ ما يقول على كبرياء أو استعلاء، وكان يوحي في كل مرةٍ باحترام القوم له فيعرف كيف يستوجب ما تقتضيه الرسالة... ودلّ محمد ﷺ على أنه سياسي محنّك بعد إبطاله بعض العادات القديمة التي لا يعدل القوم عنها بلا اعتراض..." (٥١).

ومن خلال تحليل النصوص المقتبسة من الكتاب، يتجلّى بكل وضوح إنصاف الباحث لرسولنا الكريم ﷺ بالحديث عن حياته وإنجازاته العظيمة للأمة العربية، وكيف ارتقى بها إلى أعلى المراتب، وحتى أصبحت الأشهر والأميز من بين الجميع، وكذلك التأكيد على صفات الرسول ﷺ الحميدة التي اشتهر بها وطبّقها في حياته كالأمانة والاحترام والنصح والحلم والاعتدال ومحبة الفقراء والعطف عليهم والرزانة وحسن الاستقبال والكلام الجميل الطيب في مواضعه والتواضع والحنكة والفطنة والدهاء السياسي وغيره.

١٠. الفونسو دي لامارتين(٥٢) Alphonse de Lamartine

وقال: "... أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة محمد دراسة واعية، أدركت ما فيها من عظمة وخلود"(٥٣).

وأضاف: "... إن سلوكه عند النصر وطموحه الذي كان مكرسًا لتبليغ الرسالة وصلواته الطويلة، وحواره السماوي، هذه كلها تدل على إيمان كامل مكنّه من إرسال أركان العقيدة..." (٥٤).

ووصف الرسول صلى الله عليه سلم بالقول: "... الرسول والخطيب والمُشرّع والفاتح، ومصلح العقائد الأخرى الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو: محمد..." (٥٥).

وقال: "... إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيًا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد ﷺ في عبقريته؟... وبالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أو أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد ﷺ؟" (٥٦).

الخاتمة

بعد هذه الدراسة المستفيضة لكتابات المُنصفين حول سيرة الرسول ﷺ، فقد توصل الباحث إلى ما يلي:

١. تنوّع جنسيات هؤلاء الباحثين (المستشرقين) ما بين فرنسا وإنجلترا ورومانيا وغيرها، أي أنهم من مناطق شتى من أرجاء الغرب الأوروبي والأمريكي والعربي والغالبية من فرنسا.

٢- تنوعت الكتابات عن بعضها البعض بالوصف والحديث وتشابهت أحيانًا بالمعنى.

٣- جاءت شهادات بشخصه ﷺ تُظهر ما أتاه الله تعالى من كرم وحلم وتواضع وعلم وتعبّد وزهد وورع وتقوى وشفقة ورحمة وكمال عقل وجمال أدب وحسن خلق وفصاحة لسان وحُسن معاشرة.

٤- شهادات تنفي عنه الكذب، وأنه ادّعى النبوة، وتثبيت حقيقة نبوته ورسالته حقًا، دون شك أو ريب.

٥- شهادات تنفي عنه ﷺ أنه عدد الزوجات (شهوة) حاشاه ﷺ وتُبين سبب الزواج المتعدد من خلال مقتطفات من السيرة المطهَّرة وأدلة عقلية دامغة.

٦- ردّ بعض شبه المفترين عليه ﷺ ووصفها بالأقوال السخيفة الخجلة.

٧- شهادات في الإسلام وما فيه من تعاليم تتفق مع النظرة البشرية ولا يناقض بعضها بعضًا، وتورد ما فيه من رحمة وعدل وكمال لا يعتريه نقص ولا يشوبه تحريف.

٨- شهادات تنفي شبهة انتشار الإسلام بحدّ السيف.

٩- شهادات تثبت أن الإسلام انتشر بالرحمة والعدل العلم والسلام.

١٠.شهادات تبيّن مكانة المرأة في الإسلام وتكريمه لها على أتم وجه.

١١.جاءت الكتابات بواقعها الحقيقي المدروس عن السيرة العطرة للرسول الكريم ﷺ بإنصاف من قبل المستشرقين ممن عرفتهم الدراسة أو غيرهم على النحو الآتي:

- "كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً".
- "هل هناك من هو أعظم من النبي محمد ﷺ".
- "لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد".
- "إذا كان لأحد أن يقول أن حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد".
- "هو فوق عظماء التاريخ".
- "محمد أهم وأعظم رجال التاريخ".
- "إن شريعة محمد ستسود العالم".
- "محمد رجل فوق التصور".
- "محمد رجل فوق كل الشبهات".
- "محمد أعظم عظماء التاريخ".
- "محمد الرحمة والحنان".
- "محمد أعظم رجال التاريخ قاطبة".
- "محمد أعظم من أقام دولة العدل والتسامح".
- "كيف كان يفكر هذا الرجل".
- "المسيحي الصدق من يعترف بمحمد".
- "محمد لم يعرف الراحة ولا السكون".
- "محمد شخصية خارقة للعادة".
- "حان الوقت لأن تتوجه الأنظار لمحمد".
- "محمد أعظم من عرفهم التاريخ".

١٢. على أمل من كل عربي ومسلم وبالخصوص، الباحثين والدارسين المزيد من الاهتمام بالسيرة العطرة الطاهرة لرسولنا الكريم ﷺ، من أجل التباهي أمام العالم بهذا الأثر الطيب وكذلك الدفاع عن رسولنا الكريم أمام المغرضين الحاقدين وكف معاودة الإساءة إليه واحترامه في كل مكان وزمان.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. بلروت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.
٣. بوازار، مارسيل، إنسانية الإسلام، ترجمة، د. عفيف دمشقية، ط١، منشورات دار الأدب بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
٤. جيورجيو، كونستانس، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، تعريب: د. محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
٥. الحجة، يامن، محمد ﷺ في أعينهم، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠١١م.
٦. حمدان، نذير، الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ط٢، دارا لمنارة، جدة، ١٩٨٦م.
٧. درمنغم، إميل، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، ترجمة عادل زعيتر، ط٣، الشعاع للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٥م.
٨. الزين، محمد بسام، محمد رسول الله ﷺ في القرآن الكريم وصورته في عيون المنصفين، ط١، ٢٠٠٧م.
٩. سيديو، ل. أ. تاريخ العرب العام، ط٢، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٩.
١٠. كارليل، توماس، محمد ﷺ المثل الأعلى، تعريب: محمد السباعي، النافذة، ط١، ٢٠٠٨م.
١١. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، نقله إلى العربية: عادل وزعيتر، ط٢، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٨م.
١٢. لوقا، نظمي، محمد في حياته الخاصة، مكتبة غرب، مصر، ١٩٨٧م.

١٣. وات، مونتجمري، محمد ﷺ في مكة، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ وحسين عيسى، مراجعة: د. أحمد شلبي، د. ط، الهيئة المصرة العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.

المراجع الأجنبية

١. Smith, R, Bosworth, Muhammad and Muhammadanism, Pakistan, ١٩٧٤.
٢. ar.wikipedia.org
٣. en,wikipidia.org.
٤. www.muslim-library.com
٥. www.hodaalquran.com
٦. www.islamstory.com.

الهوامش

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٢) سورة الجمعة، الآية (٢).

(٣) رودي بارت Rudi Part، مستشرق ألماني ولد سنة ١٩٠١ وتوفي ١٩٨٣م، وقد ترجم القرآن الكريم إلى الألمانية، انظر: رودي بارت /ar.wikipedia.org/wiki.

(٤) باروت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص٢٠.

(٥) مستشرق بريطاني، عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرا سابقًا، وله مجموعة مؤلفات أهمها (محمد في مكة)، كانت ولادته عام ١٩٠٩ ووفاته ٢٠٠٦م، وقد وصف من قبل الصحف الإسلامية والعربية بأنه آخر المستشرقين المُنصفين، انظر en.wikipedia.org/wiki.william_montgomery_watt.

(٦) وات، مونتجمري، محمد ﷺ في مكة، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ وحسين عيسى، مراجعة: د. أحمد شلبي، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص٨٩.

(٧) وات، المرجع نفسه، ٩٣.

(٨) وات، المرجع نفسه، ص٩٣.

(٩) وات، المرجع نفسه، ص ٩٩.

(١٠) وات، مونتجمري، مرجع سابق، ص١٢١.

(١١) مستشرق فرنسي، عمل مديرًا لمكتبة الجزائر، له عدة مؤلفات منها (محمد والسنَة الإسلامية)، ونشر عدة أبحاث في المجلات الشهيرة. انظر: www.hodaalquran.com/rbook.php.

(١٢) درمنغم، إميل، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، ترجمة عادل زعيتر، ط٣، الشعاع للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٥م، ص٢٩٤.

(١٣) درمنغم، المرجع نفسه، ص١٢٨-١٢٩.

(١٤) درمنغم، المرجع السابق، ص٢٥٨-٢٥٩.

(١٥) درمنغم، المرجع السابق، ص٣٢٩.

(١٦) درمنغم، المرجع نفسه، ص٣٣٦.

(١٧) مستشرق إنجليزي، ولد في مدينة بريستول الإنجليزية سنة ١٧٨٤م، ودرس وتخرج من جامعة براون الأمريكية ١٨١٦م، وتوفي ١٨٨٤م. انظر: en.wikipedia.org/wiki/Benjamin_smith(bishop).

(١٨) Smith, R, Bosworth, Muhammad and Muhammadanism, Pakistan, ١٩٧٤, P٩١-٩٢.

(١٩) ولد في مدينة دمنهور محافظة الجيزة، مصر، وتوفي بالقاهرة، وكان قد حصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة، ثم عمل مدرسًا وأستاذًا للفلسفة في كلية الآداب جامعة عين شمس، وله عدة مؤلفات منها (محمد الرسالة والرسول) وغيره. انظر نظمي لوقا ar.wikipedia.org/wiki.

(٢٠) لوقا، نظمي، محمد في حياته الخاصة، مكتبة غريب، مصر، ١٩٨٧، ص٤٤-٤٥.

(٢١) كاتب ومؤرخ وفيلسوف إنجليزي معروف، من آثاره، الأبطال (١٩٤٠م)، وقد عقد فيه فصلاً رائعًا على الرسول ﷺ، ولد عام ١٧٩٥م في قرية أكلفكان، وتوفي عام ١٨٨١م. انظر توماس كارليل /ar.wikipedia.org/wiki.

(٢٢) كارليل، توماس، محمد ﷺ المثل الأعلى، تعريب: محمد السباعي، مكتبة النافذة، ط١٨، ٢٠٠٨، ص٦، ٤٤.

(٢٣) كارليل، المرجع نفسه، ص٨.

(٢٤) كارليل، المرجع السابق، ص٨، ٣٧.

(٢٥) كارليل، المرجع نفسه، ص١١.

(٢٦) كارليل، المرجع نفسه، ص٦٣-٦٤.

(٢٧) كارليل، المرجع نفسه، ص١١٣. حمدان، تذير، الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ط٢، دار المنارة، جدة، ١٩٨٦، ص٧٩.

(٢٨) كارليل، المرجع نفسه، ص١١٩.

(٢٩) المستشرق والوزير الروماني السابق، من مواليد عام ١٩١٦م، وقد ركّز في دراسته على التاريخ الإسلامي، وترسخ إعجابه بسيرة الرسول الأعظم ﷺ، وقد ألّف كتاب (نظرة جديدة في سيرة رسول الله).

انظر: كونستانس - ج www.islamstory.com.

(٣٠) جيورجيو، كونستانس، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، تعريب: د. محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص٢٣.

(٣١) جيورجيو، المرجع نفسه، ص٢٣.

(٣٢) جيورجيو، المرجع نفسه، ص٢٣.

(٣٣) جورجيو، المرجع السابق، ص١١٧.

(٣٤) جيورجيو، المرجع نفسه، ص٢١٨-٢٢٠.

(٣٥) مفكر وقانوني فرنسي معاصر، له مجموعة من الأبحاث والدراسات والمؤتمرات.

انظر www.muslim-library.com/download, ١٨٨٣.

(٣٦) بوازار، مارسيل، إنسانية الإسلام، ترجمة، د. عفيف دمشقية، ط١، منشورات دار الأدب بيروت، لبنان، ١٩٨٠، ص٤٠.

(٣٧) بوازار، المرجع نفسه، ص٤٢.

(٣٨) بوازار، المرجع نفسه، ص٤٦.

(٣٩) بوازار، المرجع نفسه، ص١١٥.

(٤٠) طبيب ومؤرخ فرنسي، ولد سنة ١٨٤١ م، وعني بالحضارة الشرقية، وله عدة مؤلفات، ومن ضمنها "حضارة العرب"، وقد توفي سنة ١٩١٣ م. انظر: جوستاف- لوبون ar.wikipedia.org/wiki.

(٤١) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، تقله إلى العربية: عادل وزعيتر، ط٢، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٨، ص١٣٣.

(٤٢) لوبون، حضارة العرب، ص١٤٠.

(٤٣) لوبون، المرجع نفسه، ص١٤١.

(٤٤) لوبون، المرجع نفسه، ص١٤٥.

(٤٥) لوبون، المرجع نفسه، ص١٤٦.

(٤٦) لوبون، المرجع نفسه، ص١٤٦-١٤٧.

(٤٧) مستشرق فرنسي، عكف على نشر مؤلفات أبيه جان جاك سيديو، وقد عاش في الفترة مابين (١٨٠٨-١٨٧٥م). انظر: -en,wikipedia.org;wiki/louis pierre-eygene-sedillot.

(٤٨) سيديو، ل. أ. تاريخ العرب العام، ط٢، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٩، ص١٣.

(٤٩) سيديو، ل. أ، المرجع نفسه، ص٥٨.

(٥٠) سيديو، ل. أ، المرجع نفسه، ص٦٧-٦٨.

(٥١) سيديو، ل. أ، تاريخ العرب العام، ص٩٠.

(٥٢) كاتب وشاعر وسياسي فرنسي، أقام فترة في أزمير في تركيا، وعاش في الفترة ما بين (١٧٩٠- ١٨٩٠). انظر: ألفونسو دي لامارتين ar.wikipedia.org/wiki.

(٥٣) الحجة، يامن، محمد ﷺ في أعينهم، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠١١م، ص٢٠.

(٥٤) الحجة، المرجع نفسه، ص٢٠-٢١.

(٥٥) الحجة، محمد ﷺ في أعينهم، ص٢١.

(٥٦) الزين، محمد بسام، محمد رسول الله ﷺ في القرآن الكريم وصورته في عيون المنصفين، ط١، ٢٠٠٧، ص٢٤٢-٢٤٣.